منهج التفسير الموضوعي معالم الوحدة الموضوعية عند الشيخ المفسر سعيد حوى

د. محمد حسام سكاف*

سلم البحث في ١٤٤١/٢/٣هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤١/٣/٩هـ

ملخص البحث:

تعد الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، من أهم القضايا التي يجب على الباحثين في التفسير أن يضعوا لها تصوراً واضحاً، يزيل اللبس الحاصل في مفهومها في أوساط أهل التفسير ناهيك عن العامة. ومنذ ظهور مصطلح "التفسير الموضوعي" في القرآن الكريم بمفهومه المعاصر إلى اليوم، ظهرت العديد من الدراسات التفسيرية؛ لبيان هذه النظرة الموضوعية للسور القرآنية، غير أن من الملاحظ على الباحثين اختلاف هذه النظرة بحسب فهم أو تخصص كل منهم. في هذا البحث أحاول أن أتناول أحد هذه التفاسير؛ التي عنيت بالدراسة الموضوعية في جانب من جوانب التفسير، وهو تفسير الشيخ المفسر سعيد حوى "الأساس في التفسير".

في البداية وفي المبحث الأول لابد من التعريف بالشيخ المفسر رحمه الله، حيث تناولت ترجمته بشكل مختصر، ثم ذكرت أهم إنتاج الشيخ العلمي، بعد ذلك بينت منهج كتاب التفسير "الأساس"، وأوضحت طريقته التفصيلية في تناول السورة القرآنية، ليظهر معنا معالم المنهج الموضوعي بشكل واضح وجلي. وفي المبحث الثاني تطرقت إلى مناقشة نظرية الشيخ الموضوعية فأظهرت أهم مميزاتها، ثم بينت أهم ما يؤخذ على هذه النظرية. ثم ختمت البحث ببعض النتائج المهمة التي نستخلص من خلالها الفائدة المرجوة من هذا البحث.

Abstract:

In the name of Allah the Merciful, The substantive unity in the Holy Qur'an is one of the most important issues that researchers in the interpretation should develop a clear vision, which removes the ambiguity in its concept among the people of interpretation, not to mention the public. Since the emergence of the term "objective interpretation" in the Koran in its contemporary concept to this day, many interpretive studies have emerged; to illustrate this objective view of the Qur'anic Surahs, but it is noticeable to researchers that this view varies according to their understanding or specialty of each of them. In this research I try to address one of these interpretations; which was concerned with the objective study in one aspect of interpretation, which is the interpretation of interpreter

* عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية، بأمريكا الشمالية، منيسوتا.

Sheikh Saed Hawa "the basis of interpretation."In the beginning and in the first section should be introduced to the interpreted Sheikh, may God have mercy on him, Then I mentioned the most important scientific production of Sheikh and then I explained the method of the book of interpretation "basis", and explained his detailed way in dealing with the Koran, to show us the features of the objective curriculum clearly. In the second section, I dealt with the discussion of the objective theory of Sheikh and showed the most important characteristics, and then showed the most important taken on this theory. Then I concluded the research with some important results from which we draw the desired benefit from this research.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بكمال الله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فإن تفسير القرآن الكريم من أجل العلوم، وأفضل الأعمال، ولهذا تصدى الكثير من أهل العلم العظام، لبيان كلام رب العالمين، ليكون واضحاً جلياً في كل عصر لمن يتناوله، فهو دستور الحياة، ومنبع الأحكام، وإليه الخصام. ولذلك حاول أهل التفسير في مختلف العصور، تناول نصوص القرآنية بشتى الوسائل، ومختلف المناهج، بياناً للكتاب العزيز، خدمة للأمة في فهم كلام ربها عز وجل.

ومن أهم المناهج المتبعة في العصر الحديث، منهج التفسير الموضوعي؛ والذي يعد الرائد في إخراج التفسير بأبهى حلة، فهو منهج يعتمد على جميع مناهج التفسير، فهو كالمنسق العام بينها، بالإضافة إلى أن هذا النوع من التفسير يمتاز عن غيره بقضية الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، والتي تعد من أهم القضايا التي يجب بيانها وتوضيح معالمها، بخاصة مع اختلاف وجهات النظر في فهم ماهيتها في أوساط المفسرين، ولذلك وجب علينا بيان معالم الحدة الموضوعية عند المفسرين، وكيف تناولوها بالبحث، ولاسيما أننا نتعامل مع نص مقصد منزه عن العبث والتجريب، ومن هنا نضع بين الأيدي أحد هذه التفاسير التي عنيت ببيان هذه القضية، وهو "الأساس في التفسير" للشيخ سعيد حوى رحمه الله، والذي يظهر لنا من خلال الدراسة معالم واضحة لمفهوم الوحدة الموضوعية عنده، وفق الخطة الآتية وبالله التوفيق.

خطة البحث:

المقدمة:

المبحث الأول: الشيخ سعيد حوى مفسراً.

المطلب الأول: حياته وآثاره.

المطلب الثاني: "الأساس في التفسير".

المطلب الثالث: الدراسة الموضوعية في تفسير "الأساس".

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى.

المطلب الأول: نظرية الوحدة الموضوعية الخاصة عند الشيخ سعيد حوى.

المطلب الثاني: مناقشة النظرية الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى. (أهم ما يميز النظرية. ما يؤخذ على النظرية).

الخاتمة: أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول
الشيخ سعيد حوى مفسراً
المطلب الأول: حياته وآثاره

هو الشيخ سعيد بن محمد ديب حوى، ينتسب إلى قبيلة النعيم المشهورة وهي[١]قبيلة ينتهي نسبها إلى رسول ﷺ كما هو مشهور في سوريا.

ولد الشيخ سعيد في حماة بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٣٥م، الموافق ٢٦ جمادى الثاني ١٣٥٤هـ في حي العليليات جنوب حماة، بسوريا، وعاش في كنف والده وتربى عند جدته بعد وفاة أمه وهو صغير. يقول عن أبيه: "أعتبر والدي مربياً ناجحاً فهو يمتلك قدرة عجيبة على غرس المعاني التي يريدها في نفوس أبنائه كما أنه قادر على أن يحملهم على ما يريد"[٢].

حفظ القرآن الكريم مبكراً وراجعه على كثير من القراء في حماة، حتى أتقنه حفظاً وتلاوة، ولم ينقطع عن العمل مع والده في سوق الخضار في مهنته كبائع بالجملة، بل إنه مارس مع والده نشاطاً آخر وهو الزراعة. انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين ١٩٥٢م، وهو في الصف الأول الثانوي[٣].

تخرج الشيخ سعيد من جامعة دمشق، وحصل على الإجازة العالية من كلية الشريعة عام ١٩٦١م.

اعتقل الشيخ سعيد خمس سنوات بسبب أحداث الدستور، ورغم ما عانه في سجنه وما لاقاه إلا أنه كان صامداً، صابراً، محتسباً. لقد كان لهذا السجن آفاقه الواسعة وثمراته اليانعة في حياة الشيخ سعيد وفكره، وعن ذلك يقول: "أتيحت لي فرصة التأمل الواسع في القرآن فتيقنت من نظريتي في الوحدة القرآنية، التي بنيت عليها تفسيري فيما بعد"[٤].

ثم انتقل الشيخ سعيد إلى الأردن، وحاضر وخطب في كثير من الدول العربية والإسلامية والأجنبية. تتلمذ الشيخ سعيد لبعض العلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم، منهم: الشيخ محمد الحامد، والشيخ محمد الهاشمي، الشيخ عبد الكريم الرفاعي،

والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ ملا البوطي، والشيخ أحمد الحارون، والشيخ يحيى الصباغ، والشيخ بهجت البيطار، والدكتور مصطفي السباعي، والدكتور مصطفي الزرقا، والدكتور أحمد الساعاتي، والدكتور محمد المبارك، والدكتور فوزي فيض الله، والدكتور أحمد السمان.

لم ينتقل الشيخ سعيد إلى ربه حتى **أنتج علماً غزيراً**، منه:

١.سلسة الأصول الثلاثة: وتتكون من ثلاثة كتب، وهي: الله جل جلاله، والرسول ﷺ، والإسلام.

٢. سلسلة الأساس في المنهج، وتتكون من: الأساس في التفسير، الأساس في السنة وفقههاً، الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.

٣. دراسات منهجية هادفة في التربية والتزكية والسلوك وهذه السلسلة تتكون من ثلاثة كتب، هي: تربيتنا الروحية، والمستخلص في تزكية الأنفس، ومذكرات في منازل الصديقين والربانيين.

٤. سلسلة في البناء: وتتكون هذه السلسلة من أحد عشر كتاباً، هي: جند الله ثقافة وأخلاقاً، من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك، مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، دروس في العمل الإسلامي، فصول في الإمرة والأمير، في آفاق التعاليم، هذه تجربتي وهذه شهادتي، رسائل "كي لا نمضى بعيداً عن احتياجات العصر"، جولات في الفقهين الكبير والأكبر، جند الله تخطيطاً، جند الله تنظيماً[٥].

وتوفي رحمه الله يوم الخميس الموافق ٩ آذار ١٩٨٩م، الموافق ١شعبان ١٤٠٩هـ، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

المطلب الثاني: "الأساس في التفسير"

يعد الأساس في التفسير من كتب التفسير التحليلي، حيث يقوم باتباع المنهج العام في التفسير التحليلي؛ فيفسر الآيات تفسيراً حرفياً، ناقلاً ما يحتاج من أقوال السابقين، بالإضافة إلى ما يذكره من تحليل شخصي أو بعض الدلالات واللطائف والفوائد. ولأن "الأساس" يعتمد في كثير من الأحيان على المأثور من الحديث الشريف أو الصحابة أو التابعين، فيمكن تصنيفه أيضاً ضمن التفسير بالمأثور.

بالإضافة إلى المنهج الموضوعي الذي تبدو معالمه واضحة فيه[٦].

يقوم الشيخ سعيد في تفسيره بشرح آيات الأحكام، ذاكراً فيها أقوال الفقهاء المعتمدة، فيوضح ما غمض منه، ثم يرجح ما يحتاج إلى ترجيح، أو يحيل القارئ إلى

مواضعه من كتب الفقه المعتمدة، من غير تعصب أو نزعة مذهبية، متبعاً الوسطية السمحة للشريعة الإسلامية. كما يتولى "الأساس" الرد على شبهات المبطلين والمستشرقين العقدية أو المنهجية، أو شطحات الصوفية وانحرافاتهم وتأويلاتهم الفاسدة، بأسلوب علمي واضح، معتمد على الكتاب وما صح من سنة النبي ﷺ، أو ما نقل عن جهابذة علماء الأمة ممن سبقه. كما يتميز بعرضه لقضية الإعجاز عرضاً ملائماً ومناسباً لمعطياته من علوم، وشاملاً لجميع أوجه إعجاز القرآن في النظم والأسلوب، وفي الموضوع من خلال الآيات الكونية والآيات الإنسانية، ومن خلال حديث القرآن عن أخبار من قبلنا وعن أنباء ما بعدنا وعن حكم ما بيننا. ومن سمات التفسير إجابته على كثير من التساؤلات التي تشغل بال المسلم المعاصر والتي تطرحها ظروف العصر وتفرضها أوضاعه(٧).

طريقة "الأساس" في التفسير:

أ- النظرة الشاملة للسورة:

تعتمد على القراءة المتأنية، وطول النظر والتدبر، للوصول إلى محور السورة الذي سيلتقي حتماً بأحد محاور سورة البقرة، اتباعاً لمنهج الوحدة الموضوعية في نظريته الخاصة.

ب- تقسيم السورة:

من خلال قراءته ونظرته العامة للسورة يقوم بتقسيمها إلى مقدمة وأقسام أو مقاطع على حسب طول السورة، وفقرات، ومجموعات، ثم خاتمة، فإذا كانت السورة طويلة يستخدم: القسم والمقطع والفقرة والمجموعة، وأما في السور المتوسطة والقصيرة فإنه يستخدم: المقطع والفقرة والمجموعة، أو الفقرة والمجموعة، أو الفقرة فقط(٨).

الطريقة التفصيلية في تفسير السورة:

يقول الشيخ في خاتمة التفسير عن طريقته في التفسير: "ومن خلال استقرائي لأصناف كثير من الراغبين في دراسة القرآن وجدت أن هناك ناساً تهمهم الفائدة الشاردة والنكتة اللطيفة، وآخرون تهمهم دقائق السياق والربط بين الآيات والسور، وآخرون لا يهمهم إلى معرفة المعنى الحرفي ضمن أدنى حد ممكن، ولذلك فصلت الكلام بين المعنى الحرفي والسياق والفوائد، فالراغب في الجميع لم يفته شيء، والراغب في شيء بعينه يجده منفصلا عن غيره "(٩).

وفيما يلي نوجز منهج الشيخ سعيد في تفصيل التفسير:

أ-تقديمه للسورة:

يُعرف فيها بالسورة، وفضلها، مع بيان صلتها بمحورها من سورة البقرة "وفق

نظرية المفسر في الوحدة الموضوعية" وصلتها بقسمها الذي تقع فيه مجموعتها التي تضمها.

ب- تقسيمه للسورة:

ويعتمد هذا التقسيم على أمرين: المعاني والمعالم.

ج- الخطوات التفصيلية:

يبدأ هذه المرحلة من التفسير بالمعنى العام للآيات، ثم يشرح الآيات شرحاً وافياً، موضحاً أسباب النزول، والمناسبات، مؤكداً على صلة الآيات بمحورها من سورة البقرة، معتمداً على عدة تفاسير، كتفسير ابن كثير، أو الفخر الرازي، أو النسفي..، ثم يذكر اللطائف والفوائد والدلالات، مبرزاً الإعجاز القرآني في النظم والأسلوب.

د- كلمة في سياق السورة:

يعود ليؤكد على ما اشتملته الآيات من معان، ويتحدث عن أوجه الصلة بين هذه التقسيمات، كما يفعل في خاتمة السورة.

ملاحظة هامة:

سار الشيخ سعيد على هذا المنهج في تفسيره حتى نهاية سورة يونس، ثم من بعد ذلك يستغني عن المعنى العام، وفي ذلك يقول: "فيما مر معنا من التفسير حرصنا أن نأتي بالمعاني العامة للآيات المفسرة ثم نتبعها بالتفسير الحرفي وكان يضطرنا ذلك إلى التكرار، وقد ألجأنا إلى ذلك حرصنا على عرض معاني ما نفسره متسلسلاً، لتأكيد وحدة المقطع، أو القسم، والمجموعة، ونعتقد أن ما مر كان كافيا لتأكيد ما أردناه، ولذلك ورغبة في الاختصار فإننا لن نسير بعد الآن على مبدأ ذكر المعنى العام ثم المعنى الحرفي، بل سنكتفي بذكر المعنى الحرفي"(١٠).

المطلب الثالث: الدراسة الموضوعية في تفسير "الأساس"

إن الدراسة الموضوعية للقرآن الكريم تتضمن ثلاثة أقسام عند علماء التفسير الموضوعي، وهي: المصطلح القرآني، والموضوع القرآني، والتفسير الموضوعي للسورة القرآنية. فالقسمان الأول والثاني لم يكونا محل اهتمام الشيخ سعيد في "الأساس"، لأن تفسيره كما مر آنفاً يُعنى بالتفسير التحليلي للقرآن الكريم. لكن الناظر في منهج "الأساس" يجده يقرب كثيراً من المنهج المتبع عند العلماء في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وذلك من خلال البحث في:

١. النظرة العامة للسورة:

فقبل أن يبدأ في تفسيره للسورة، فهو ينظر في مقاصدها وأهدافها مما يعطيه فكرة شاملة ونظرة عامة للسورة، وهذا أحد خطوات منهج التفسير الموضوعي للسورة

القرآنية عند العلماء، وهذا الأمر واضح جداً في "الأساس". فمثلاً: يقول في مقدمة سورة المائدة: "إن سورة المائدة تفصل فيما هو نقض للميثاق، وفيما هو قطع لما أمر الله به أن يوصل، وفيما هو إفساد في الأرض، فتدعونا لتركه وتطالبنا بما لو فعلناه لا تكون فاسقين ولا خاسرين ... فهي تكمل سورة النساء، فإذا كانت سورة النساء قد فصلت فيما هو من التقوى، فسورة المائدة تفصل فيما ليس من التقوى لتعمق عندنا قضية التقوى وتحققنا بها بتخليصنا من أضدادها "(١١).

٢. تقسيم السورة إلى مقاطع رئيسية:

وهو تماماً ما يقوم به المفسر الموضوعي للسورة القرآنية، حيث يعتمد على الترابط المعنوي في كل مقطع.

٣. البحث في المناسبات العامة والخاصة:

حيث يبين أولاً المحور الرئيسي للسورة، ثم يبين صلة كل مقطع مع هذا المحور، وكذلك تناسب المقاطع مع بعضها، وتناسب مقدمة السورة مع خاتمتها وتناسب الآية مع سياقها...، وهذا أيضاً من أعمال المفسر الموضوعي للسورة.

فيقول مثلاً عن سورة القصص: "بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [القصص:١- ٢]، وفي ختام السورة كان قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٨٧﴾ [القصص:٨٧]، فالصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها لا تخفي، من حيث حديث كل منهما عن القرآن الكريم"(١٢).

وهكذا نجد قرب منهج الشيخ سعيد من منهج العلماء في التفسير الموضوعي، وإن لم يشر إلى ذلك المنهج بهذه التسمية صراحة.

المبحث الثاني
الوحدة الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى
المطلب الأول
نظرية الوحدة الموضوعية الخاصة عند الشيخ سعيد حوى

يعد الشيخ سعيد حوى من أوائل الذين وضعوا تصوراً متكاملاً وشاملاً للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بشكل كامل، أي ابتداءً من سورة الفاتحة وختاماً بسورة الناس، بالمعنى المعاصر للوحدة الموضوعية، وذلك من خلال تفسيره "الأساس".

وتقوم نظرية الشيخ سعيد على عدد من الأسس الهامة، أبرز من خلالها مفهوم الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وهي:

١. إن سورة البقرة تفصيل لما أجملته سورة الفاتحة.

٢. السور ما بعد البقرة تفصيل لسورة البقرة.

وفي هذا الشأن يقول: "رأينا أن سورة الفاتحة ذكرت كل معان القرآن بإجمال، وجاءت سورة البقرة لتفصل في الطريقين: طريق المنعم عليهم، وطريق المغضوب عليهم والضالين، وجاءت الآيات التسعة والثلاثون من سورة البقرة للتحدث عن المعاني الرئيسية في الهدى والضلال، ثم جاءت بقية السورة لتخدم معنى من المعاني الآتية في هذه التسعة والثلاثين آية"(١٣). وترجع هذه الفكرة إلى خصائص وفضائل سورة البقرة، فقد احتوت سورة البقرة على كثير من المقاصد والأحكام جملة وتفصيلاً. بالإضافة إلى النصوص الواردة في فضل سورة البقرة، منها: قوله ﷺ: "لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي"(١٤).

كما أورد الشيخ سعيد حديثاً لم يذكر سنده، واكتفى بالقول: ورد عن رسول الله ﷺ في سورة البقرة قوله: "إن كادت لتستحصي القرآن كله". ولذلك قال: "وقد رأينا خلال استعراضنا للسورة كيف أنها استوعبت من المعاني ما لا يحاط به، ولكن الأمر بالنسبة لسورة البقرة، أوسع مما عرضناه"(١٥).

٣.يُقْسَم القرآن الكريم إلى أربعة أقسام رئيسة، سبق وبينتها السنة النبوية، وهي:

أ- **قسم الطوال:** يبدأ من سورة البقرة وينتهي بسورة التوبة، وهذا القسم يمثل مجموعة واحدة تجمعها وحدة موضوعية واحدة. ومن الملاحظ أن الشيخ سعيد كان حريصاً على إبراز الوحدة الموضوعية لهذا القسم وصلة سوره بسورة البقرة.

ب- **قسم المئين:** ينقسم قسم المئين حسب معانيه إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة تفصل جزء من آيات سورة البقرة.

المجموعة الأولى:

- سورة: [يونس] وتفصل الآيتان: [١، ٢].
- سورة: [هود]، وتفصل الآية: [٢١].
- سورة: [يوسف]، وتفصل الآيتان: [٢٣، ٢٤].
- سورة: [الرعد]، وتفصل الآية: [٢٦].
- سورة: [إبراهيم]، وتفصل الآيتان: [٢٥٧، ٢٥٨].

المجموعة الثانية:

- سورة: [الحجر] وتفصل الآيات: [١– ٥].
- سورة: [النحل]، وتفصل الآية: [٢١٠].
- سورة: [الإسراء]، وتفصل الآية: [٢١١].
- سورة: [الكهف]، وتفصل الآية: [٢١٢].

- سورة: [مريم]، وتفصل الآية: [٢١٣].

المجموعة الثالثة:

- سورة: [طه] وتفصل الآيات: [١ - ٥].
- سورة: [الأنبياء]، وتفصل الآية: [٦].
- سورة: [الحج]، وتفصل الآيتان: [٢١، ٢٢].
- سورة: [المؤمنون]، وتفصل الآيتان: [٢٥ - ٢٩].
- سورة: [النور]، وتفصل الآية: [٢٠٨].
- سورة: [الفرقان]، وتفصل الآية: [٢١٣].
- سورة: [الشعراء]، وتفصل الآية: [٢٥٢].
- سورة: [النمل]، وتفصل الآية: [٢٥٢].
- سورة: [القصص]، وتفصل الآية: [٢٥٢].

ج- قسم المثاني: يبدأ هذا القسم بسورة العنكبوت وينتهي بسورة ق.

قُسِّم قسم المثاني إلى خمس مجموعات وفي ذلك يقول: "يتألف قسم المثاني من خمس مجموعات، كل مجموعة تفصل في سورة البقرة نوع تفصيل، فهي تبدأ في تفصيل الآية منها، ثم تأتى المجموعة الثانية فتبدأ التفصيل من البداية وهكذا، وذلك كذلك سبب من أسباب تسمية هذا القسم بالمثاني، وسنرى كيف أن المعاني هي التي ستحدد لنا بدايات المجموعات ونهايتها"(١٦).

د- قسم المفصل: قسم المفصل يبدأ من سورة الذاريات وينتهي بسورة الناس،"ويتألف هذا القسم من خمس عشرة مجموعة، وكل مجموعة تفصل في معان من سورة البقرة من بدايتها إلى شيء منها، وكل سورة في مجموعة لها محورها من سورة البقرة، فهي تفصل في هذا المحور، وفي امتداده في سورة البقرة، وهو شيء قد رأيناه كثيرا، ورأينا الدليل عليه مرة بعد مرة"(١٧).

المطلب الثاني
مناقشة النظرية الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى

أولاً: أهم ما يميز النظرية:

١. أول نظرية متكاملة للوحدة الموضوعية، يلتزم الشيخ سعيد بمنهج النظرية من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وقد سماها "الوحدة الموضوعية".

٢. قَسَّمت النظرية القرآن الكريم إلى أقسام لم تُسبق قبل ذلك، حيث يقول الشيخ سعيد في مقدمة سورة فصلت: "وهذه المجموعة تضيف صرحاً جديداً لموضوع التفصيل القرآني المتلاحم؛ جاءت سورة الفاتحة، ثم جاءت سورة البقرة، ثم جاءت تتمة السبع

الطوال لتضع الصرح الأول في تفصيلها، ثم جاءت ثلاثة مجموعات في قسم المئين، لتضيف صروحاً ثلاثة أخرى في التفصيل، ثم جاء قسم المثاني ليضيف ستة صروح أخرى، ثم يأتي قسم المفصل ليضع صروحاً أخرى في التفصيل، فتكون آخر مجموعة فيه هي قمة الهرم، وقاعدة الهرم هي سورة البقرة، ثم يبنى الهرم بعد ذلك من مجموعات، كل مجموعة أكبر من التي بعدها حتى نصل إلى القمة، وفيما بين ذلك من الصلات ما لا يعلمه إلا الله عز وجل"(١٨) .

بالإضافة إلى أن هذه المجموعات في كل الأقسام من الأقسام مترابطة يكمل بعضها بعضاً، وعن ذلك يقول الشيخ سعيد: "كل مجموعة لاحقة تبنى على كل ما سبقها من مجموعات، وكل سورة تفصل في محور تبنى على التفصيلات السابقة لهذا المحور، بحيث تعمق المعاني وتؤكدها وتكملها في عمليات متلاحقة، يتكامل بها بناء النفس البشرية لتؤدي دورها مع غيرها في سير منضبط إلى الله عز وجل وفي صف واحد نحو تحقيق الأهداف"(١٩).

٣. ميزة أخرى من ميزات النظرية يقول عنها الشيخ سعيد نفسه، وتحت عنوان: كلمة أخيرة في السياق القرآني العام: "وقد رأينا أن بعض المجموعات استغرق حوالي ثمانية أجزاء، بينما نجد المجموعة التي لا تتجاوز الصفحة الواحدة، مع أن كل مجموعة فصلت في المعاني الرئيسية لسورة البقرة والحكمة في ذلك –والله أعلم– أن ينال كل إنسان حظه من الذكر حفظاً وتلاوة، وتذكراً بما يسع حاله، وبحيث يأخذ نصيبه من تذكر المعاني الرئيسية على قدر ما يسعف وقته وفراغه واستعداده وذاكرته، مع ملاحظة أن القرآن بجميعه لا بد من تلاوته وتدبره لمن أراد أن يعرف حقائق الأشياء على ما هي عليه، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] "(٢٠).

ويقول: "وكل قسم من الأقسام يكمل بقيتها، فقسم المفصل يكمل قسم المثاني، وقسما المثاني والمفصل يكملان تفصيل قسم المئين، والأقسام الثلاثة تكمل تفصيل قسم الطوال، ولهذا كله قواعده وأسرار انتظامه، وكل ذلك قد ربط بخيوط إلى سورة البقرة، فكأنها الأصيل الذي ينبثق عنه بانتظام فروع أولى، ثم فروع ثانية، ثم فروع ثالثة، ثم فروع رابعة، فكأنها شجرة فيها أربعة وعشرون غصناً كل غصن له فروعه وأوراقه وثماره وارتباطاته بسورة البقرة ارتباطاً منتظماً دقيقاً"(٢١).

٤. لقد قامت هذه النظرية على أساس أن لكل سورة بعد سورة البقرة محورها، تفصل فيه نوع تفصيل، ولقد نالت آيات معينة من سورة البقرة أكبر قدر من التفصيل، حيث اعتبرت محاور لسور كثيرة وهى الآيات من [١- ٣٩]، وبالأخص لآيات من [١- ٥] التي اشتملت على كثير من المقاصد والمعاني التي فصلت في سورة كثيرة، هذا بالإضافة إلى أن لهذه الآيات الأولى من سورة البقرة صلتها الوثيقة بها، حيث تعتبر الآيات الأخرى التالية لها بناء عليها وتفصيلاً فيها. لذلك نرى الشيخ سعيد كلما مر بمقطع من مقاطع سورة البقرة يربط بينه وبين آيات المقدمة(٢٢).

ثانياً: ما يؤخذ على النظرية:

من الملاحظ أن بعض الآيات من سورة البقرة كانت محوراً لأكثر من سورة، بينما أهملت الكثير من آيات سورة البقرة ولم تكن محوراً لأي سورة. فالآيات غير المستفاد منها كمحاور أكثر من مئتي آية، وهذا يتنافى مع قوله مسبقاً؛ بأن ما بعد سورة البقرة مفصلة لسورة البقرة. ومثال ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١]، قد فصلت سورة النساء وسورة هود، ولكن لكل سورة سياقها ومجالها في تفصيل هذه الآية، يقول الشيخ سعيد: "إنه لمن الواضح أن سورة هود تفصل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١]، ومن قبل فصلت سورة النساء في هذه الآية، ولكن تفصيل سورة النساء انصب على التقوى وهاهنا ينصب تفصيل سورة هود على الأمر ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾، ومحله في دين الله وفي رسالات الرسل](٢٣).

ونلاحظ أيضاً أن محور سورة النساء وسورة هود هو محور سورة الحج، والأحزاب وفصلت والأحقاف والطلاق والمزمل والانفطار والانشقاق والأعلى والغاشية والشرح والعلق والتكاثر.

وعن سر تفصيل سور كثيرة لآيات معينة في سورة البقرة، يقول الشيخ سعيد: "وقد يتساءل متسائل، لماذا هذا التركيز كله على الآيات الأولى من سورة البقرة حتى ليكاد يكون قسم المفصل كله تفصيلاً لذلك؟

والجواب: إن هذه المعاني التي ذكرتها الآيات الأولى من سورة البقرة عليها مدار الإسلام كله، فبقدر ما تتعمق معانيها في النفس البشرية وتتضح يكون الإسلام قائما والأمر مستقيما"(٢٤).

وأظن أن هذا الجواب عام، ولا يعطي التفسير المقنع للتأكيد على عدد محدد

من آيات سورة البقرة وغض الطرف عن كثير منها. وبالتالي فإن النظرية التي طرحها الشيخ سعيد لا تخلو من تكلف، وبعض الغموض أحياناً، وعدم إقناع تارةً أخرى. غير أن ما بذله الشيخ سعيد من جهد في سبيل التحقق من صحة نظريته؛ جهد مشكور وعمل مبرور، سعى من خلاله خدمة كتاب الله تعالى، نسأل الله له عظيم الجزاء.

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

من خلال دراسة الوحدة الموضوعية عند الشيخ المفسر سعيد حوى في تفسيره "الأساس في التفسير"، يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

١."الأساس في التفسير" يعد من كتب التفسير التحليلي المعتمد على المأثور، لكنه يعتمد أيضاً على المنهج الموضوعي والتي تبدو معالمه واضحة جداً فيه.

٢.يعتمد "الأساس في التفسير على نوع واحد من أنواع منهج التفسير الموضوعي؛ وهو: "التفسير الموضوعي للسورة القرآنية".

٣.أهم ما يميز نظرية الشيخ سعيد حوى الموضوعية:

أ- أول نظرية متكاملة للوحدة الموضوعية، يلتزم الشيخ سعيد بمنهج النظرية من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وقد سماها "الوحدة الموضوعية".

ب- قسَّمت النظرية القرآن الكريم إلى أقسام لم تُسبق قبل ذلك.

٤.أهم ما يؤخذ على نظرية الشيخ سعيد حوى الموضوعية، أنها لا تخلو من بعض التكلف وبعض الغموض، غير أن ذلك لا يعد مثلبة في عمل الشيخ، حيث بذل الشيخ جهداً كبيراً ومشكوراً في سبيل التحقق من صحة نظريته.

ثانياً: التوصيات:

أوصي إخواني الباحثين في مجال علوم القرآن وتفسيره، العمل مزيداً لبيان مفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، حيث لا تزال معالمه يعتريها بعض الغموض، وأن تعقد الندوات والمؤتمرات العلمية في هذا الخصوص بشكل أكبر.

والحمد لله رب العالمين

هوامش البحث:

(١) قبيلة النعيم: قبيلة مشهورة سكنت بادية الشام ومراكزها الرئيسة في حلب وإدلب وحماة. [عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٢م، ج٥ ص ٢٦٣].

(٢) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، بيروت، مكتبة وهبة، ط١، ص ١١.

(٣) البطاقة الشخصية لسعيد حوى بقلم محمد سعيد حوى – رسالة خطية.
(٤) سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ص ١١٩.
(٥) للاستزادة يمكن الرجوع إلى ما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد الشرقاوي، أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر وكلية التربية للبنات بالقصـيم، فقد قدم عرضاً رائعاً عن حياة الشيخ سعـيد حوى، في مقدمة بحثه عن الوحدة الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى، رحمه الله تعالى.
(٦) سأتحدث عن ذلك بشئ من التفصيل عند الحديث عن طريقة الأساس في التفسير، تحت عنوان: الدراسة الموضوعية في " الأساس ".
(٧) للاستزادة يمكن الرجوع إلى ما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد الشرقاوي، أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر وكلية التربية للبنات بالقصيم، في بحثه عن الوحدة الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى، رحمه الله تعالى.
(٨) سعيد حوى، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ، ج١ ص٣١.
(٩) سعيد حوى، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ، ج١١ ص٦٧٧٣.
(١٠) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٥ ص٢٤٢١.
(١١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٣ ص١٢٩٨.
(١٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٧ ص٤١٢٠.
(١٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج١١ ص٦٧٧٠.
(١٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٩٩٥م. كتاب فضائل القرآن وتفسيره وأسباب نزوله، باب فضل سورة البقرة. ورواه الإمام الترمذي في جامعة، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مصر، مكتبة البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م. أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة البقرة. [محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، بيروت،دار الفكر،ط١،د.ت، ج٨ ص١٨٦].
(١٥) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج١ص٦٧٤.
(١٦) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٨ ص٤١٥١.
(١٧) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج١٠ ص٥٤٩٥.
(١٨) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج٩ ص٥٠٥١.
(١٩) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١٠ص٥٤٩٥.
(٢٠) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١١ص٥٧٢٨.
(٢١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ١١ص٥٧٢٨.
(٢٢) الأستاذ الدكتور أحمد الشرقاوي، أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر وكلية التربية للبنات بالقصيم، في بحثه عن الوحدة الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى.
(٢٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج ٥ ص٢٥٢٥.
(٢٤) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج١٠ص٥٨٤٣.

مراجع البحث:

- معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٢م،

سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، بيروت، مكتبة وهبة.
- الأساس في التفسير، سعيد حوى، القاهرة، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٩٩٥م.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مصر، مكتبة البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، بيروت، دار الفكر، ط١، د.ت.
- أحمد الشرقاوي، بحث عن الوحدة الموضوعية عند الشيخ سعيد حوى.